

أنا وأنت على الطريق
النساء كتاب مكشوف

صديقتي المستمعة،

النساء كتاب مكشوف وسهل التعرف عليه... هذا هو عنوان دراسة نشرتها إحدى الصحف العربية مؤخرا فتعالى معي نستمع إلى ما جاء في هذا التقرير: كشفت دراسة اسكتلندية حديثة أن سمات وميزات النساء مطبوعة بشكل واضح على وجوههن بعكس الرجال الذي وصفتهم الدراسة بأنهم " كتاب مغلق " ليس من السهل فهم صفات أصحابها. وأكد باحثون جامعة غلاسكو أنه بإمكان أي شخص أن يحدد إذا ما كانت المرأة متدينة أو جديرة بالثقة أو محظوظة بمجرد النظر إلى وجهها. في حين أن التأمل في وجوه الرجال لا يعطي أدنى فكرة عن شخصيتهم.

ومن خلال الدراسة هذه عن المرأة وما توصلت إليه بأنها كتاب مكشوف وسهل التعرف عليه، طلب الباحثون من أكثر من ألف شخص إرسال صورهم وهم ينظرون مباشرة إلى الكاميرا، وملء استمارة عن شخصياتهم وذكروا ما إذا كانوا سعداء أو ميالين إلى المزاح أو الدعابة أو متدينين أو جديرين بالثقة . ثم قام الباحثون بتقسيم الأشخاص حسب تصنيفهم لأنفسهم داخل مجموعة أو أخرى ضمن أربعة أبعاد وتعديل صورهم الكترونيا من أجل الحصول على نماذج لوجوه متعددة ، حيث تبين أنه كان بالإمكان تحديد النساء المحظوظات بنسبة ٧٠% أو معرفة المتدينات بينهن بشكل كبير. وجاء تحديد المرأة التي يمكن الوثوق بها متدينا بنسبة ٥٤%. وتوصلت الدراسة يا سيدتي عن النساء إلى أنه من الصعب معرفة الكثير عن شخصيات الرجال الحقيقية من خلال النظر إليها. ووصف الباحث "روب جنكينز" Rob Jenkins أحد المشاركين في الدراسة أن الدراسة مثيرة للاهتمام قائلا: "أردنا معرفة ما إذا كان باستطاعة الناس تحديد الشخصيات من خلال النظر إلى صورهم، مضيفا إذ تُظهر أن الناس يربطون بين ملامح الوجه والسمات الشخصية للإنسان."

الناس يربطون دائما بين ملامح الوجه والسمات الشخصية للإنسان. كانت هذه العبارة تعليقا على الدراسة الاسكتلندية التي شارككك بها للتو يا سيدتي. ملامح الوجه عند النساء دلالة كبيرة على شخصياتهن أكثر من الرجال. لكن ومهما عرفنا عن زوجاتنا، أخواتنا، بناتنا، قريباتنا، أمهاتنا، فسنبقى نعرف القليل والقليل جداً لأننا ننظر إلى الوجه والملامح والشكل. مع أن هذه كلها تعبر الكثير. لكن تبقى المعرفة محدودة وكثيرا ما يتفاجأ العروسان بعد الزواج بأن ملامح السعادة والفرح والغبطة أو ملامح الاكتفاء والتقدير والاحترام، هذه كلها قد تغيرت ولم تعد كما كانت من قبل. وانكشفت الحقيقة لكن ماذا ؟ بعد فوات الأوان. وهكذا تبقى معرفة الحقيقة عن الإنسان سواء كان امرأة أم رجلا نسبية وربما خادعة في أحيان كثيرة. أليس كذلك يا سيدتي؟

لهذا يعلمنا الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الحية التي أوحى بها لعبيده ورجاله الأتقياء ليكتبوها مسوقين بروحه القدوس ويقول في هذا الشأن: " لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب." (١ صموئيل ١٦: ٧) أما سبب كتابة هذه الآية فهو أن الله أراد أن يمسخ النبي صموئيل في القديم ملكا على الشعب . ولما بدأ صموئيل النبي بإتمام هذه المهمة، نقرأ بأنه نظر إلى أحد أبناء يسي ، فأعجب بشكله ومنظره فظن أن هذا هو المراد أن يصبح ملكا من الله. لكن الله وبروحه القدوس أوحى له وقال: " لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنني قد رفضته. لأنه ليس كما ينظر الإنسان . لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب...."

ولهذا السبب يا سيدتي فإن الإنسان يستطيع أن يخدع أخاه الإنسان بلامح وجهه ومنظره، وتبقى معرفة الحقيقة عن الشخص معرفة سطحية ونسبية. أليس كذلك؟ لهذا أيضا يا سيدتي يحذر الله الإنسان في كلمته المقدسة ليقول: " فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأنَّ منه مخارج الحياة." والسؤال الآن هو :ما هي حقيقة داخلك؟ وكيف هي حالة قلبك؟ هل ملامحك تظهر حقيقة داخلك ؟ هذا هو الأهم. ل أن الله خالقك هو وحده الذي يعرف قلبك ولهذا يقول أيضا: **يا ابني أعطني قلبك وتلاحظ عينك طريقي. (أمثال ٢٣: ٢٦)** فهل تعطين قلبك لله خالقك لكي يغيره وينقيه من الخطايا ويجعله قلبا جديدا مقدسا ومبرراً؟ ويكون إذا آمنت بيسوع المسيح من كل قلبك تحصيلين على الغفران الكامل لخطاياك، وتصبحين ابنة الله مقدسة قلبا وقالبا.
